

التَّبِيَانُ فِي أَدَابِ حَمْلَةِ الْقُرْآنِ

(أ) (٣)

الباب السادس

في أداب القرآن

هذا الباب هو مقصود الكتاب وهو منتشر جداً وأنا أشير إلى أطراف من مقاصده كراهة الإطالة وخوفاً على قارئه من الملالة :

فأول ذلك يجب على القارئ الإخلاص كما قدمناه ومراعاة الأدب مع القرآن؛ فينبغي أن يستحضر في نفسه أنه بناجي الله تعالى؛ ويقرأ على حال من يرى الله تعالى فإنه إن لم يكن يراه فإن الله تعالى يراه.

فصل

وينبغي إذا أراد القراءة أن ينظف فاه

بالسواك وغيره والاختيار في السواك أن يكون بعد من أراك ويجوز بسائر العيدان وبكل ما ينطفف كالخرقة الخشنة والأشنان وغير ذلك؛ وفي حصوله بالأصبع الخشنة ثلاثة أوجه لأصحاب الشافعي رحمهم الله تعالى :

أشهرها أنه لا يحصل؛ **والثاني** : يحصل إن لم يجد غيرها؛ ولا يحصل إن وجده.

ويستاك عرضاً مبتدئاً بالجانب الأيمن من فمه وينوي به الإتيان بالسنة؛ قال بعض العلماء يقول ثم الاستياك :

اللهم بارك لي فيه يا أرحم الراحمين

قال الماوردي من أصحاب الشافعي: ويستحب أن يستاك في ظاهر الأسنان وباطنها ويمر السواك على أطراف أسنانه وكراسي أضراسه وسفق حلقه إمراراً رفينا.

قالوا: وينبغي أن يستاك بعد متوسط لا شديد البيوسنة ولا شديد الرطوبة قال فإن اشتد بيشه لينه بالماء ولا بأس باستعمال سواك غيره بإذنه وأما إذا كان فمه نجساً بدم أو غيره فإنه يكره له قراءة القرآن قبل غسله.

وهل يحرم؟ قال الروياني من أصحاب الشافعي عن والده :

يتحمل وجهين والأصح لا يحرم فصل يستحب أن يقرأ وهو على طهارة فإن قرأ محدثاً جاز بآجماع المسلمين . والأحاديث فيه كثيرة معروفة قال إمام الحرمين ولا يقال ارتكب مكروهاً بل هو تارك للأفضل فإن لم يجد الماء تيم والمستحاضة في الزمن المحكوم بأنه ظهر حكمها حكم المحدث :

وأما الجنب والحائض فإنه يحرم عليهم قراءة القرآن سواء كان آية أو أقل منها ويجوز لهما إجراء القرآن على قلبهما تلفظ به؛ ويجوز لهم النظر في المصحف وإماراه على القلب .

وغير ذلك من الأذكار للجنب

وأجمع المسلمون على جواز التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاحة على النبي والحائض :

قال أصحابنا : وكذا إن قالا لإنسان **خذ الكتاب بقوة** وقصدوا القرآن فهو جائز وكذا ما أشبهه ويجوز لهما أن يقولا ثم المصيبة إننا لله وإننا إليه راجعون إذا لم يقصدوا القرآن ؛

قال أصحابنا الخراسانيون : ويجوز أن يقولا ثم ركوب الدابة سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وعند الدعاء ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار إذا لم يقصدوا القرآن ؛

قال إمام الحرمين : فإذا قال الجنب باسم الله والحمد لله فإن قصد القرآن عصى وإن قصد الذكر أو لم يقصد شيئاً لم يلث ويجوز لهما قراءة ما نسخت تلاوته كالشيخ والشيخة إذا زنياً فارجموهما البة.

فصل

إذا لم يجد الجنب أو الحائض ماء تيم

ويباح له القراءة والصلاحة وغيرهما فإن أحدهما حرمت عليه الصلاة ولم تحرم القراءة والجلوس في المسجد وغيرهما

مما لا يحرم على المحدث كما لو اغتسل ثم أحدث ؛ وهذا مما يسأل عنه ويستغرب فيقال جنب يمنع من الصلاة ولا يمنع من قراءة القرآن والجلوس في المسجد ضرورة ؟

كيف صورته ؟ فهذا صورته ثم الأقرب لا فرق مما ذكرناه بين تيمم الجنب في الحضر والسفر وذكر بعض أصحاب الشافعى : أنه إذا تيمم في الحضر استباح الصلاة ولا يقرأ بعدها ولا يجلس في المسجد ؛

والصحيح جواز ذلك كما قدمناه ولو يتم ثم صلى وقرأ ثم رأى ماء يلزمها استعماله فإنه يحرم عليه ما يحرم على الجنب حتى يغتسل ولو تيمم وصلى وقرأ ثم أراد التيمم لحدث أو لفريضة أخرى أو لغير ذلك فإنه لا يحرم عليه القراءة على المذهب الصحيح المختار ؟

وفي وجه بعض أصحاب الشافعى أنه لا يجوز والمعروف الأول ؛ أما إذا لم يجدر الجنب ماء ولا ترابا فإنه لا يصلى لحرمة الوقت على حسب حاله ويحرم عليه القراءة خارج الصلاة ويحرم عليه أن يقرأ في الصلاة ما زاد على فاتحة الكتاب ؛

وهل يحرم عليه قراءة الفاتحة ؟

في وجهان الصحيح المختار أنه لا يحرم بل يجب فإن الصلاة لا تصح إلا بها وكلما جازت الصلاة لضرورة مع الجناية يجوز القراءة ؛

والثاني لا يجوز بل يأتي بالأذكار التي يأتي بها العاجز الذي لا يحفظ شيئاً من القرآن لأن هذا عاجز شرعاً فصار كالعجز حساً ؛

والصواب الأول وهذه الفروع التي ذكرناها يحتاج إليها أشرت إليها بأوجز العبارات وإلا فلها أدلة وتمام كثيرة معروفة في كتب الفقه والله أعلم .

فصل

ويستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف مختار

ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة في المسجد لكونه جاماً للنظافة وشرف البقعة ومحصلاً لفضيلة أخرى وهي الاعتكاف ؛ فإنه ينبغي لكل جالس في المسجد الاعتكاف سواء أكثر في جلوسه أو أقل ؛ بل ينبغي أول دخوله المسجد أن ينوي الاعتكاف ؛ وهذا الأدب ينبغي أن يعتنى به ويشاع ذكره ويعرفه الصغار والعوام فإنه مما يغفل عنه ؛

وأما القراءة في الحمام فقد اختلف السلف في كراهيتها فقال أصحابنا : (لا يكره ونقله الإمام المجمع على جلالته أبو بكر بن المنذر في الأشراف عن إبراهيم النخعي ومالك وهو قول عطاء وذهب إلى كراحته جماعات منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه) رواه عنه ابن أبي داود ؛

وحكى ابن المنذر عن جماعة من التابعين منهم أبو وائل شقيق بن سلمة والشعبي والحسن البصري ومكحول وقيصة بن ذؤيب وروينا أيضاً عن إبراهيم النخعي وحكاه أصحابنا عن أبي حنيفة رضي الله عنهم أجمعين ؛ قال الشعبي : تكره القراءة في ثلاثة مواضع في الحمامات والحسوش وبيوت الرحي وهي تدور ؛

وعن أبي ميسرة قال : لا يذكر الله إلا في مكان طيب وأما القراءة في الطريق فالمحترر أنها مكرهة إذا لم يلته القراءة للناعس مخافة من الخلط ؛

وروى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقرأ في الطريق ؛ وروى عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه أذن فيها ؛ قال ابن أبي داود حدثني أبو الريح قال أخبرنا ابن وهب قال سألت مالكا عن الرجل يصلى من آخر الليل

فيخرج إلى المسجد وقد بقي من السورة التي كان يقرأ فيها شيء قال : ما أعلم القراءة تكون في الطريق وكراه ذلك وهذا إسناد صحيح عن مالك رحمه الله فصل يستحب للقارئ الصلاة أن يستقل القبلة ؛ فقد جاء في الحديث : (خير المجالس ما استقبل به القبلة ويجلس متخلشاً بسکينة ووقار مطرقاً رأسه ويكون جلوسه وحده في تحسين أدبه وخصوصه كجلوسه بين يدي معلمته فهذا هو الأكمل ولوقرأ قائماً أو مضطجعاً أو في فراشه أو ذلك من الأحوال جاز قوله أجر ولكن دون الأول قال الله عز وجل :

{إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض} (

كره النبي

يتکئ في حجري وأنا حائض ويقرأ القرآن)

وثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله

رواه البخاري ومسلم ؛ وفي رواية يقرأ القرآن ورأسه في حجري ؛

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال (إني أقرأ القرآن في صلاتي وأقرأ على فراشي) وعن عائشة رضي الله عنها قالت (إني لا أقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير)

فصل

فإن أراد الشروع في القراءة

استعاد فقال أعود بالله من الشيطان الرجيم هكذا قال الجمهور من العلماء وقال بعض العلماء يتعدّد بعد القراءة لقوله تعالى : {إِذَا قرأت فاستعد بالله من الشيطان الرجيم} وتقدير الآية ثم الجمهور إذا أردت القراءة فاستعد ثم صيغة التعوذ كما ذكرناه ؛ وكان جماعة من السلف يقولون أعود بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ؛ ولا بأس بهذا ولكن الاختيار هو الأول ثم إن التعوذ مستحب وليس بواجب وهو مستحب لكل قارئ سواء كان في الصلاة أو في غيرها ويستحب في الصلاة في كل ركعة على الصحيح من الوجهين ؛ ثم أصحابنا وعلى الوجه الثاني إنما يستحب في الركعة الأولى فإن تركه في الأولى أنت به في الثانية ؛ ويستحب التعوذ في التكبيرة الأولى في صلاة الجنازة على أصح الوجهين قال وينبغي أن يحافظ على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة سوى براءة فإن أكثر العلماء قالوا إنها آية حيث تكتب في المصحف وقد كتبت في أوائل السور سوى براءة فإذا قرأها كان متيقنا قراءة الختمة أو السورة فإذا أخل بالبسملة كان تاركا لبعض القرآن ثم الأكثرين فإذا كانت القراءة في وظيفة عليها جعل كالأسباع والأجراء التي عليها أوقاف وأرذاق كان الاعتناء بالبسملة أكثر لتيقن قراءة الختمة فإنه إذا تركها لم يستحق شيئاً من الوقف ثم من يقول البسملة آية من أول السورة وهذه دقة نفيسة يتأكد الاعتناء بها وإشاعتها فصل فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر ثم القراءة والدلائل عليه أكثر من أن تحصر وأشار وأظهر من أن تذكر فهو المقصود المطلوب وبه تنشرح الصدور وتستثير القلوب.

قال الله عز وجل : {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} وقال تعالى : {كَاتِبُ أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ مَبَارِكٌ لِيَدَبِرُوا آيَاتِهِ}

والآيات فيه كثيرة وأقاويل السلف فيه مشهورة وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتذمرونها ويرددونها وقد صعق جماعة من السلف ثم القراءة ومات .

جماعات حال القراءة وروينا عن بهز بن حكيم أن بينها بن أوفى التابعي الجليل رضي الله عنه أنهم في صلاة الفجر

قرأوا حتى بلغ {إِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ} خرميتسا ؛ قال بهز و كنت فيمن حمله .

وكان أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه وهو ريحانة الشام كما قال أبو القاسم الجنيد رحمه الله إذا قرئ عنده القرآن يصيح ويصعق ؛ قال ابن أبي داود وكان القاسم بن عثمان الجوني رحمه الله ينكر على ابن الحواري وكان الجوني فاضلاً من محدثي أهل دمشق تقدم في الفضل على ابن أبي الحواري قال وكذلك أنكره أبو الجوزاء وقيس بن جبير وغيرهم قلت **والصواب عدم الإنكار إلا على من اعترف أنه يفعله تصنعاً والله أعلم** وقال السيد الجليل ذو

الموهاب والمعارف إبراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه دواء القلب : خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن
وقيام الليل والتضرع ثم السحر ومجالسة الصالحين.

فصل

في استحباب تردید الآیة للتدبر

وقد قدمنا في الفصل قبله الحث على التدبر وبيان موقعه وتأثير السلف وروينا عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال قام بأية يردها حتى أصبحت الآية {إِنْ تَعْذِبُهُمْ عَبَادُكَ} الآية رواه النسائي وابن ماجه ؛ وعن تميم الداري النبي

رضي الله تعالى عنه أنه كرر هذه الآية حتى أصبح {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آتَيْنَا

و عملوا الصالحات } الآية ؛ وعن عبادة بن حمزة قال دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ { فمن الله علينا و وقانا عذاب السموم } فوقفت عندها فجعلت تعيدها وتندعو فطال علي ذلك فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي تعيدها وتندعو ؛ وروى هذه القصة عن عائشة رضي الله تعالى عنها ؛ وردد ابن مسعود رضي الله عنه { رب زدني علما } ؛ وردد سعيد بن جبير { واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله } وردد أيضاً { فسوف يعلمون إذ الأغلال في أنفاسهم } الآية ؛ وردد أيضاً { ما غرك بربك الكريم } ؛ وكان الضحاك إذا أصحمهما قوله تعالى { لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل } ردها إلى السحر .

فصل

في البكاء ثم قراءة القرآن

قد تقدم في الفصلين المتقدمين بيان ما يحمل على البكاء في حال القراءة وهو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرؤن للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً وقد وردت فيه أحاديث كثيرة وآثار السلف فمن

:

{ اقرؤوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا }

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته وفي رواية أنه كان في صلاة العشاء فتدلى على تكريبه منه وفي رواية أنه بكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصحف :

وعن أبي رجاء قال رأيت ابن عباس وتحت عينيه مثل الشراك البالي من الدموع ؛ وعن أبي صالح قال قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فجعلوا يقرؤون القرآن ويبيكون فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه هكذا كنا ؛ وعن هشام قال ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في الليل وهو في الصلاة ؛
والآثار في هذا كثيرة لا يمكن حصرها وفيما أشرنا إليه ونبهنا عليه كفاية والله أعلم .

قال الإمام أبو حامد الغزالى : البكاء مستحب مع القراءة وعندها وطريقه في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والمواعيد ثم يتأمل تقصيره في ذلك فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص فليك على فقد ذلك فإنه من أعظم المصائب .

فصل

وي ينبغي أن يرتل قراءته

وقد اتفق العلماء رضي الله عنهم على استحباب الترتيل قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلًا ؛ وثبت عن أم سلمة رضي قراءة مفسرة حرفاً _ رواه أبو داود والنسائي والترمذى ؛ قال الترمذى
الله عنها أنها نعتت قراءة رسول الله

حديث حسن صحيح ؛ وعن معاوية بن قرة رضي الله عنه عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح يرجع في قراءته - رواه البخاري ومسلم ؛
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله ؛
وعن مجاهد أنه سئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وأل عمران والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما واحد سواء فقال : الذي قرأ البقرة وحدها أفضل وقد نهي عن الإفراط في الإسراع ويسمى الهذرمة ؛
فثبت عن عبدالله بن مسعود أن رجلاً قال له إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال عبدالله بن مسعود : هكذا هكذا⁻
الشعر إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع القلب فرسخ فيه نفع -
رواية البخاري ومسلم وهذا لفظ مسلم في إحدى رواياته ؛ قال العلماء والترتيل مستحب للتدارب ولغيره قالوا يستحب الترتيل للعمجي الذي لا يفهم معناه لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب .

فصل

عن النبي

ويستحب إذا مر بآية

رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشر ومن العذاب ؛ أو يقول اللهم إني أسألك العافية أو أسألك المعافاة من كل مكروه أو نحو ذلك وإذا مر بآية تزية لله تعالى نزه فقال سبحانه وتعالى أو تبارك وتعالى أو جلت عظمة ربنا فقد صح عن ذات ليلة فافتتح البقرة ثم المائة ثم

حذيفة بن اليمان رضي الله عنهمما قال صليت مع النبي

مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى بها ثم افتح النساء فقرأها ثم افتح آل عمران فقرأها يقرأ ترولا إذا مر بآية فيها تسبيح سبج وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ - رواه مسلم في صحيحه ؛ وكانت سورة النساء في ذلك الوقت مقدمة على آل عمران قال أصحابنا رحمهم الله تعالى ويستحب هذا السؤال والاستعاذه والتسبيح لكل قارئ سواء كان في الصلاة أو خارجا منها ؛ قالوا ويستحب ذلك في صلاة الإمام والمنفرد والمأموم لأنه دعاء فاستووا فيه كالتأمين عقب الفاتحة ؟

وهذا الذي ذكرناه من استحباب السؤال والاستعاذه هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وجمahir العلماء رحمهم الله قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى ولا يستحب ذلك بل يكره في الصلاة والصواب قول الجماهير لما قدمناه.

فصل

ومما يعتنى به ويتأكّد الأمر به احترام القرآن

من أمور قد يتسامل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين فمن ذلك :

* اجتناب الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة إلا كلاماً يضطر إليه .

* ولimentiL قول الله تعالى {إِذَا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون }

* ولقيت بما رواه ابن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهمما أنه كان إذا قرأ القرآن لا يتكلم حتى يخلو منه . ذكره في كتاب التفسير في قوله تعالى {نساؤكم حرث لكم }

* ومن ذلك العبث باليد وغيرها فإنه ينادي ربه سبحانه وتعالى فلا يبعث بين يديه .

* ومن ذلك النظر إلى ما يلهمي ويفيد الذهن .

* وأصبح من هذا كله النظر إلى ما لا يجوز النظر إليه كالأمرد وغيره فإن النظر إلى الأمرد الحسن حاجة حرام سواء كان بشهوة أو بغيرها سواء أمن الفتنة أو لم يؤمنها هذا هو المذهب الصحيح المختار ثم العلماء ؛ وقد نص الإمام الشافعي ومن لا يحصى من العلماء ودليله قوله تعالى {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم} ولأنه في معنى المرأة بل ربما كان بعضهم أو كثير منهم أحسن من النساء ويتمكن الريبة فيه ويتسهل من طرق الشر في حقه ما لا يتسهل في حق المرأة أولى وأقاويل السلف في التنفير منهم أكثر من أن تحصى وقد سموهم الأنتان لكونهم مستقدرين شرعا ؛

وأما النظر إليه في حال البيع والشراء والأخذ والإعطاء والتطلب والتعليم ونحوها من مواضع الحاجة فجائز للضرورة لكن يقتصر الناظر على قدر الحاجة ولا يديم النظر ضرورة ؛ وكذا المعلم إنما يباح له النظر الذي يحتاج إليه ويزحر عليهم كلهم في كل الأحوال النظرة بشهوة ولا يختص هذا بالأمرد بل يحرم على كل مكلف النظر بشهوة إلى كل أحد رجال كان أو امرأة محروماً كانت المرأة أو غيرها إلا الزوجة أو المملوكة التي يملك الاستمتاع بها ؛ حتى قال أصحابنا يحرم النظر بشهوة إلى محارمه كاخته وأمه والله أعلم .

وعلى الحاضرين مجلس القراءة إذا رأوا شيئاً من هذه المنكرات المذكورة أو غيرها أن ينهاوا عنه حسب الإمكاني باليد

لمن قدر وباللسان لمن عجز عن اليد وقدر على اللسان وإن فلينكر بقلبه والله أعلم .

فصل

لا تجوز قراءة القرآن بالعجمية

سواء أحسن العربية أو لم يحسنها سواء كان في الصلاة أم في غيرها فإن قرأ بها في الصلاة لم تصح صلاته هذا مذهبنا ومذهب مالك وأحمد وداود وأبو بكر بن المنذر ؛ وقال أبو حنيفة يجوز ذلك وتصح به الصلاة ؛ وقال أبو يوسف ومحمد يجوز ذلك لمن لم يحسن العربية ولا يجوز لمن يحسنها .

فصل

وتجوز قراءة القرآن بالقراءات السبع

المجمع عليها ولا يجوز بغير السبع ولا بالروايات الشاذة المنقولة عن القراء السبعة وسيأتي في الباب السابع إن شاء الله تعالى اتفاق الفقهاء على استتابة من أقرأ بالشواذ أو قرأ بها وقال أصحابنا وغيرهم لو قرأ بالشواذ في الصلاة بطلت صلاته إن كان عالما وإن كان جاهلا لم تبطل ولم تحسب له تلك القراءة وقد نقل الإمام أبو عمر بن عبد البر الحافظ إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ وأنه لا يصلح خلف من يقرأ بها قال العلماء من قرأ الشاذ إن كان جاهلا به أو بتحريمه عرف بذلك فإن عاد إليه أو كان عالما به عذر تعزيرا بلغ إلى أن ينتهي عن ذلك ويجب على كل متمكن من الإنكار عليه ومنعه الإنكار والمنع .

فصل

إذا ابتدأ بقراءة أحد القراء

فينبغي أن يستمر على القراءة بها ما دام الكلام مرتبًا فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أحد من السبعة والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس فصل قال العلماء الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف فيقرأ الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم ما بعدها على الترتيب وسواء قرأ في الصلاة أو في غيرها ؛ حتى قال بعض أصحابنا إذا قرأ في الركعة الأولى سورة قل أعوذ برب الناس يقرأ في الثانية بعد الفاتحة من البقرة ؛ قال بعض أصحابنا ويستحب إذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها التي تليها ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة فينبغي أن يحافظ عليها إلا فيما ورد المشرع ؛

باستثنائه كصلاة الصبح يوم الجمعة يقرأ في الأولى سورة السجدة وفي الثانية هل أتى على الإنسان ؛ وصلاة العيد في الأولى قاف وفي الثانية اقتربت الساعة ، وركعتين سنة الفجر في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية قل هو الله أحد ، وركعات الوتر في الأولى سبع اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد والمعوذتين ؛

ولو خالف الماوريدي فقرأ سورة لا تلي الأولى أو خالف الترتيب فقرأ سورة ثم قرأ سورة قبلها حاز فقد جاء بذلك آثار كثيرة وقد قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الركعة الأولى من الصبح بالكهف وفي الثانية بيوسف وقد كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف ؛

وروى ابن أبي داود عن الحسن أنه كان يكره أن يقرأ القرآن إلا على تأليفه في المصحف وبإسناده الصحيح ؛ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قيل له إن فلانا يقرأ القرآن منكوسا فقال ذلك منكوس القلب .

وأما قراءة سور من آخرها إلى أولها فممنوع منعاً متأكداً !!

فإنه يذهب بعض ضروب الإعجاز ويزيل حكمة ترتيب الآيات وقد روى ابن أبي داود عن إبراهيم النخعي الإمام

التابعى الجليل والإمام مالك بن أنس أنها كرها ذلك وأن مالكا كان يعييه ويقول هذا عظيم وأما من آخر المصحف إلى أوله فحسن ليس هذا من هذا الباب فإن ذلك قراءة متضائلة في أيام متعددة مع ما فيه من تسهيل الحفظ عليهم والله أعلم .

فصل

قراءة القرآن من المصحف

أفضل من القراءة عن ظهر القلب لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة فتتجتمع القراءة والنظر - هكذا قاله القاضي حسين من أصحابنا وأبو حامد الغزالى وجماعات من السلف ؛ ونقل الغزالى في الإحياء أن كثيرين من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقرؤون من المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ؛ وروى ابن أبي داود القراءة في المصحف عن كثيرين من السلف ولم أر فيه خلافا ولو قيل إنه يختلف باختلاف الأشخاص فيختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدببه في حالي القراءة في المصحف وعن ظهر القلب ويختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمل بذلك خشوعه ويزيد على خشوعه وتدببه لوقرأ من المصحف لكان هذا قولًا حسنا والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل .

فصل

في استحباب قراءة الجماعة مجتمعين

وفضل القارئين من الجماعة والسامعين وبيان فضيلة من جمعهم عليها وحرضهم ونديهم إليها اعلم أن قراءة الجماعة من روایة أبي هريرة وأبي مجتمعين مستحبة بالدلائل الظاهرة وأفعال السلف والخلف المتظاهرة فقد صح عن النبي سعيد الخدرى رضي الله عنهما أنه قال :

{ما من قوم يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده} قال الترمذى حديث حسن صحيح ؛

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

{ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسوه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغضبتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكره الله فيمن عنده}

رواه مسلم وأبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ؛

وعن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال : {ما يجلسكم} قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده لما هدانا للإسلام ومن علينا به فقال :

{أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة}

رواه الترمذى والنسائي وقال الترمذى حديث حسن صحيح والأحاديث في هذا كثيرة ؛

وروى الدارمي بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا وروى ابن أبي داود أن أبي الدرداء رضي الله عنه كان يدرس القرآن معه نفر يقرؤون جميعا ؛

وروى ابن أبي داود فعل الدراسة مجتمعين عن جماعات من أفضل السلف والخلف وقضاة المتقدمين ؛

وعن حسان بن عطية والأوزاعي أنهما قالا أول من أحدث الدراسة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل في قدمته على عبد الملك ؛

وأما ما روى ابن أبي داود عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرب ز أنه أنكر هذه الدراسة وقال ما رأيت ولا سمعت وقد أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ما رأيت أحدا فعلها ؛

وعن وهب قال قلت لمالك أرأيت القوم يجتمعون فيقرؤون جمِيعاً سورة واحدة حتى يختتموها فأنكر ذلك وعابه وقال ليس هكذا تصنع الناس إنما كان يقرأ الرجل على الآخر يعرضه فهذا الإنكار منهما مخالف لما عليه السلف والخلف ولما يقتضيه الدليل فهو مترونوك والاعتماد على ما تقدم من استحبابها ؛

لكن القراءة في حال الاجتماع لها شروط قدمناها ينبغي أن يعني بها والله أعلم وأما فضيلة من يجمعهم على القراءة { الدال على الخير كفاعله }

{ لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حمر النعم }
والآحاديث فيه كثيرة مشهورة وقد قال الله تعالى : { وتعاونوا على البر والتقوى }

ولا شك في عظم أجر الساعي في ذلك فصل في الإدراك بالقرآن وهو أن يجتمع جماعة يقرأ بعضهم عشراً أو جزءاً ذلك ثم يسكت ويقرأ الآخر من حيث انتهى الأول ثم يقرأ الآخر وهذا جائز حسن ؛ وقد سئل مالك رحمه الله تعالى عنه فقال لا بأس به .

فصل

في رفع الصوت بالقراءة

هذا فصل مهم ينبغي أن يعني به أعلم أنه جاء أحاديث كثيرة في الصحيح وغيره دالة على استحباب رفع الصوت بالقراءة ؛ وجاءت آثار دالة على استحباب الإخفاء وخفض الصوت وسند كل منها طرفاً يسيراً إشارة إلى أصلها إن شاء الله تعالى ؛

قال الإمام أبو حامد الغزالى وغيره من العلماء وطريق الجمع بين الأحاديث والآثار المختلفة في هذا : (أن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل في حق من يخاف ذلك فإن لم يخف الرياء فالجهر ورفع الصوت أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى غيره والمتعدي أفضل من اللازم ولأنه يوقد قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيده في النشاط ويوقظ غيره من نائم وغافل وينشطه قالوا فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل فإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر)
قال الغزالى : (ولهذا قلنا القراءة في المصحف أفضل فهذا حكم المسألة)

وأما الآثار المنقولة فكثيرة وأنا أشير إلى أطراف من بعضها ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال يقول :

{ ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهه به }
رواوه البخاري ومسلم ؛ ومعنى إذا أنه استمع وهو إشارة إلى الرضا والقبول ؛
وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

قال له : { لقد رأيتني

{ لقد أتيت مزماراً من مزامير آل داود } - رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم أن رسول الله

وأنا أستمع لقراءتك البارحة } ورواه مسلم من رواية بريد بن الخصيب وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال قال :

رسول الله

{ لله أشد أذناً إلى الرجل حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته }
:

إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالليل حين يدخلون وأعرف ما زلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار } رواه البخاري ومسلم

{ زينوا القرآن بأصواتكم } رواه أبو داود والنسائي وغيرهما ؛

وروى ابن أبي داود عن علي رضي الله عنه أنه سمع ضجة ناس في المسجد يقرؤون القرآن فقال : (طوبى لهؤلاء)

رسول الله

رسول الله

وفي إثباتات الجهر أحاديث كثيرة وأما الآثار عن الصحابة والتابعين من أقوالهم وأفعالهم فأكثر من أن تحصر وأشار من أن تذكر وهذا كله فيما لا يخاف رياء ولا إعجاباً ولا نحوهما من القبائح ولا يؤذى جماعة يليس عليهم صلاتهم ويخلطها عليهم وقد نقل عن جماعة السلف اختيار الإخفاء لخوفهم مما ذكرناه فعن الأعمش قال : دخلت على إبراهيم وهو يقرأ بالمصحف فاستأذن عليه رجل فغطاه وقال لا يرى هذا أني أقرأ كل ساعة .

رضي الله عنهم فقال رجل منهم : قرأت الليلة كذا فقلوا :
وعن أبي العالية قال كنت جالسا مع أصحاب رسول الله
يقول :

{الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة}

رواه أبو داود والترمذى والنمسائى قال الترمذى حديث حسن قال ومعناه أن الذى يسر بقراءة القرآن أفضل من الذى يجهز بها لأن صدقة السر أفضل ثم أهل العلم من صدقة العلانية ؟
قال وإنما معنى هذا الحديث ثم أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب لأن الذى يسر ومعناه لا يخاف عليه من العجب كما يخاف عليه من علانيته ؟

قلت : وكل هذا موافق لما تقدم تقريره في أول الفصل وأنه إن خاف بسبب الجهر شيئاً مما يكره لم يجهز وإن لم يخف استحب الجهر فإن كانت القراءة من جماعة مجتمعين تأكيد استحب الجهر لما قدمناه ولما يحصل فيه من نفع غيرهم والله أعلم .

فصل

في استحباب تحسين الصوت بالقراءة

أجمع العلماء رضي الله عنهم من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن وأقوالهم وأفعالهم مشهورة نهاية الشهرة فنحن مستغنو عن نقل

مستفيضة ثم الخاصة وال العامة كحديث زينوا القرآن بأصواتكم
شيء من أفرادها ودلائل هذا من حديث رسول الله

وحديث لقد أتي هذا مزماراً وحديث ما أذن الله وحديث لله أشد أذناً ؟

وقد تقدمت كلها في الفصل السابق وتقدم في فضل الترتيل حديث عبدالله بن مغفل في ترجيع النبي صلى الله عليه قال : {من لم يتغن بالقرآن

وسلم القراءة ؛ وكحديث سعد بن أبي وقاص وحديث أمامة رضي الله عنهم أن النبي فليس منا} رواه أبو داود بإسنادين جيدين وفي إسناد سعد اختلف لا يضر قال جمهور العلماء معنى لم يتغن لم يحسن صوته ؟

وحديث البراء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلمقرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه - رواه البخاري ومسلم ؛

قال العلماء رحمهم الله فيستحب تحسين الصوت بالقراءة وترتيبها مالم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن أفرط حتى زاد حرفًا أو أخفاه فهو حرام

وأما القراءة بالألحان فقد قال الشافعى رحمة الله في موضع أكرهها ؟

قال أصحابنا ليست على قولين بل فيه تفصيل :

إن أفرط في التمطيط فجاوز الحد فهو الذي كرهه.

وإن لم يجاوز فهو الذي لم يكرهه.

وقال أقضى القضاة الماوردي في كتابه الحاوي القراءة بالألحان الموضوعة إن أخرجت لفظ القرآن عن صيغته يادخال حركات فيه أو إخراج حركات منه أو قصر ممدود أو مد مقصور أو تمطيط يخفي به بعض اللفظ ويتبليس المعنى فهو حرام يفسق به القارئ ويؤثم به المستمع لأنه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج والله تعالى يقول { قرئنا عربياً غير ذي عوج }

قال وإن لم يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله كان مباحاً لأنه زاد على الحانه في تحسينه هذا كلام أقضى القضاة وهذا القسم الأول من القراءة بالألحان المحرومة مصيبة ابتدأ بها بعض الجهلة الطغام الغشمة الذين يقرؤون على الجنائز وبعض المحافل وهذه ظاهرة ليث كل مستمع لها كما قاله أقضى القضاة الماوردي ويؤثم كل قادر على إزالتها أو على النهي عنها إذا لم يفعل ذلك وقد بذلك فيها بعض قدرتي وأرجو من فضل الله الكريم أن يوفق لإزالتها من هو أهل لذلك وأن يجعله في عافية ؟

قال الشافعي في مختصر المزن尼 ويحسن صوته بأبي وجه كان قال وأحب ما يقرأ ح德拉 وتحزينا ؛ قال أهل اللغة يقال حدرت بالقراءة إذا درجتها ولم تمططها ؛ ويقال فلان يقرأ بالتحزين إذا رق صوته وقد روى ابن أبي داود بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ إذا الشمس كورت يحزنها شبه الرثاء ؛ وفي سنن أبي داود قيل لابن أبي مليكة أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت فقال يحسنه ما استطاع.

فصل

في استحباب طلب القراءة الطيبة

من حسن الصوت اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم

يستمعون وهذا متفق على استحبابه وهو عادة الأئم والمتبعين وعباد الله الصالحين وهو سنة ثابتة عن رسول الله {اقرأ على القرآن} فقلت يا رسول الله أقرأ

فقد صح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال لي رسول الله عليك وعلىك أنزل قال : {إني أحب أن اسمعه من غيري} فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء كلامها} قال حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان - رواه البخاري ومسلم :

وروى الدارمي وغيره بأسانيدهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول لأبي موسى الأشعري ذكرنا رينا فيقرأ عنده القرآن والأثار في هذا كثيرة معروفة وقد مات جماعات من الصالحين بسبب قراءة من سأله القراءة والله أعلم وقد استحب العلماء أن يستفتح مجلس حديث النبي صلى الله عليه وسلم ويختتم بقراءة قارئ حسن الصوت ما تيسر من القرآن ثم إنه ينبغي للقارئ في هذه المواطن أن يقرأ ما يليق بالمجلس ويناسبه وأن تكون قراءته في آيات الرجاء والخوف والمواعظ والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة والتأهيب لها وقصر الأمل ومكارم الأخلاق .

فصل

ينبغي للقارئ إذا ابتدأ من وسط السورة

أو وقف آخرها أن يبتدئ من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض وأن يقف على الكلام المرتبط ولا يتقييد بالأعشار والأجزاء فإنها قد تكون في وسط الكلام المرتبط كالجزء الذي في قوله تعالى وما نفسي وفي قوله تعالى فما كان جواب قومه وقوله تعالى : {ومن يقنت منكن لله ورسوله}

وفي قوله تعالى : {وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء}

وفي قوله تعالى : {إليه يرد علم الساعة} ، وفي قوله تعالى : {ويدا لهم سبات }

وفي قوله : {قال مما خطبكم أيها المرسلون} وكذلك الأحزاب كقوله تعالى :

{واذكروا الله في أيام معدودات} وقوله تعالى {قل أونيشكم بخير من ذلك}

فكل هذا وشبهه ينبغي أن يبتدأ به ولا يوقف عليه فإنه متعلق بما قبله ولا يغتنم بكتلة الغافلين له من القراء الذين لا يراعون هذه الآداب ولا يفكرون في هذه المعاني وامثل ما روى الحكم أبو عبدالله بإسناده عن السيد العجليل الفضيل بن عياض رضي الله عنه قال لا تستوحش طرق الهدى لقلة أهلها بكثرة الهالكين ولا يضرك قلة السالكين ؛ ولهذا المعنى قالت العلماء قراءة سورة قصيرة بكمالها أفضل من قراءة بعض سورة طويلة بقدر القصيرة ؛ فإنه قد يخفى الارتباط على بعض الناس في بعض الأحوال ؛ وقد روى ابن أبي داود بإسناده عن عبدالله بن أبي الهذيل التابعي المعروف رضي الله عنه قال كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية ويتركوا بعضها .

فصل

في أحوال تكره فيها القراءة

اعلم أن قراءة القرآن على الإطلاق إلا في أحوال مخصوصة جاء الشرع بالنهي عن القراءة فيها وأنا أذكر الآن ما

حضرني منها مختصرة بحذف الأدلة فإنها مشهورة فتكره القراءة في حالة الركوع والسجود والتشهد وغيرها من أحوال الصلاة سوى القيام وتكره القراءة بما زاد على الفاتحة للمأمور في الصلاة الجهرية إذا سمع قراءة الإمام وتكره حالة القعود على الخلاء وفي حالة النعاس وكذا إذا استعجم عليه القرآن وكذا في حالة الخطبة لمن يسمعها ولا تكره لمن لم يسمعها بل تستحب هذا هو المختار الصحيح وجاء عن طاوس كراهيتها وعن إبراهيم عدم الكراهة فيجوز أن يجمع بين كلاميهما بما قلنا كما ذكره أصحابنا ولا تكره القراءة في الطواف هذا مذهبنا وبه قال أكثر العلماء وحكاه ابن المنذر عن عطاء ومجاهد وابن المبارك وأبي ثور وأصحاب الرأي وحكي عن الحسن البصري وعروة بن الزبير ومالك كراحتها في الطواف وال الصحيح الأول وقد تقدم بيان الاختلاف في القراءة في الحمام وفي الطريق وفيمن فمه

نجد

فصل

من البدع المنكرة في القراءة

ما يفعله جهلة المصليين بالناس في التراويف من قراءة سورة الأنعام في الركعة الأخيرة في الليلة السابعة معتقدين أنها مستحبة فيجمعون أموراً منكرة منها اعتقادها مستحبة ومنها إيمان العوام ذلك ومنها تطويل الركعة الثانية على الأولى وإنما السنة تطويل الأولى ومنها التطويل على المأمورين ومنها هدرمة القراءة :

ومن البدع المشابهة لهذا قراءة بعض جهلتهم في الصبح يوم الجمعة سجدة ألم تنزيل قاصداً ذلك وإنما السنة قراءة ألم تنزيل في الركعة الأولى وهل أتى في الثانية .

فصل

في مسائل غريبة

تدعوا الحاجة إليها منها أنه إذا كان يقرأ فعرض له ريح فينبعي أن يمسك عن القراءة حتى يتكمّل خروجه ثم يعود إلى القراءة كذا رواه ابن أبي داود وغيره عن عطاء وهو وضوء حسن ومنها أنه إذا ثناءب أمسك عن القراءة حتى ينقضي الثناؤب ثم يقرأ قال مجاهد وهو حسن ويدل عليه ما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ثناءب أحدكم فليمسك بيده على فمه فإن الشيطان يدخل رواه مسلم ومنها أنه إذا قرأ قول الله عز وجل وقال اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة وقالوا اتخاذ الرحمن ولداً ونحو ذلك من الآيات ينبغي أن يخوض بها صوته كذا كان إبراهيم النخعي رضي الله عنه يفعل ومنها ما رواه ابن أبي داود ياسناد ضعيف عن الشعبي أنه قيل له إذا قرأ الإنسان إن الله وملائكته يصلون على النبي يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم ومنها أنه يستحب له أن يقول ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ والتين والزيتون فقال أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين رواه أبو داود والترمذمي ياسناد ضعيف عن رجل عن أعرابي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الترمذمي هذا الحديث إنما يروى بهذا الإسناد عن الأعرابي عن أبي هريرة قال ولا يسمى وروى ابن أبي داود والترمذمي ومن قرأ آخر لا أقسم بيوم القيمة أليس ذلك ب قادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ فإنه ألا ريكما تكذبان أو فإنه حديث بعده يؤمنون فليقل آمنت بالله وعن ابن عباس رضي الله عنهما وابن الزبير وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم أنهم كانوا إذا قرأ أحدهم سبج اسم ريك الأعلى قال سبحان ربى الأعلى وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول فيها سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه صلى فقرأ آخر سورةبني إسرائيل ثم قال الحمد لله الذي لم يتخد ولداً وقد نص بعض أصحابنا على أنه يستحب أن يقال في القراءة ما قدمناه وفي حديث أبي هريرة في السور الثلاث وكذلك يستحب أن يقال باقي ما ذكرناه وما كان في معناه والله أعلم .

فصل

في قراءة يراد بها الكلام

ذكر ابن أبي داود في هذا اختلافاً وروي عن إبراهيم النخعي رضي الله عنه أنه كان يكره أن يقال القرآن بشيء يعرض من أمر الدنيا وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ في صلاة المغرب بمكة والتين والزيتون ورفع صوته وقال

وهذا البلد الأمين وعن حكيم بضم الحاء بن سعد أن رجلا من المحكمية أتى عليا رضي الله عنه وهو في صلاة الصبح فقال لشأن أشركت ليحيطن عملك فأجابه علي في الصلاة فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذي لا يوقنون قال أصحابنا إذا استأذن إنسان على المصلي فقال المصلي ادخلوها بسلام آمنين فإن أراد التلاوة وأراد الإعلام لم تبطل صلاته وإن أراد الإعلام ولم يحضره نية بطلت صلاته .

فصل

وإذا ورد على القارئ من فيه

فضيلة من علم أو شرف أو سن مع صيانة أو له حرمة بولاية أو ولادة أو غيرها فلا بأس بالقيام له على سبيل الاحترام والإكرام لا للرياء والإعظام بل ذلك مستحب وقد ثبت القيام للإكرام من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وفعل أصحابه رضي الله عنهم بحضورته وبأمراه ومن فعل التابعين ومن بعدهم من العلماء الصالحين وقد جمعت جزءا في القيام وذكرت فيه الأحاديث والآثار الواردة باستحسابه وبالنهي عنه وبينت ضعف الضعف منها وصحة الصحيح والجواب عما يتوجه منه النهي وليس فيه نهي وأوضحت ذلك كله بحمد الله تعالى فمن تشكيك في شيء من أحاديثه فيليطالعه يجد ما يزول به شكه إن شاء الله تعالى فصل إذا كان يقرأ ماشيا فمر على قوم يستحب أن يقطع القراءة ويسلم عليهم ثم يرجع إلى القراءة ولو أعاد التعود كان حسنا ولو كان يقرأ جالسا فمر عليه غيره فقد قال الإمام أبو الحسن الواحدى الأولى ترك السلام على القارئ لاشغاله بالتلاوة قال فإن سلم عليه إنسان كفاه الرد بالإشارة قال فإن أراد الرد باللفظ رده ثم استأنف الاستعاذه وعاود التلاوة وهذا الذي قاله ضعيف والظاهر وجوب الرد باللفظ فقد قال أصحابنا إذا سلم الداخل يوم الجمعة في حال الخطبة وقلنا الإنصات سنة وجب له رد السلام على أصح الوجهين فإذا قالوا هذا في حال الخطبة مع الاختلاف في وجوب الإنصات وتحريم الكلام ففي حال القراءة التي لا يحرم الكلام فيها بالإجماع أولى مع أن رد السلام واجب بالجملة والله أعلم وأما إذا عطس في حال القراءة فإنه يستحب أن يقول الحمد لله وكذا لو كان في الصلاة ولو عطس غيره وهو يقرأ الصلاة وقال الحمد لله يستحب للقارئ أن يشتمه فيقول يرحمك الله ولو سمع المؤذن قطع القراءة وأجابه بمتابعته في ألفاظ الأذان والإقامة ثم يعود إلى قراءته وهذا متفق عليه ثم أصحابنا وأما إذا طلبت منه حاجة في حال القراءة وأمكنته جواب السائل بالإشارة المفهمة وعلم أنه لا ينكسر قلبه ولا يحصل عليه شيء من الأذى للأئم الذى بينها وبينهما ونحوه فال الأولى أن يجيئه بالإشارة ولا يقطع القراءة فإن قطعها جاز والله أعلم

فصل

في أحكام نفيسة تتعلق بالقراءة في الصلاة

أبالغ في اختصارها فإنها مشهورة في كتب الفقه منها أنه يجب القراءة في الصلاة المفروضة ياجماع العلماء ثم قال مالك والشافعي وأحمد وجماهير العلماء تعيين قراءة الفاتحة في كل ركعة وقال أبو حنيفة وجماعة لا تعيين الفاتحة أبدا قال ولا تجب قراءة الفاتحة في الركعتين الأخيرتين والصواب الأول فقد ظهرت عليها الأدلة من السنة ويكفي من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ولا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن وأجمعوا على استحساب قراءة السورة بعد الفاتحة في ركعتي الصبح والأولتين من باقي الصلوات واختلفوا في استحسابها في الثالثة والرابعة وللشافعي فيها قولان الجديد أنها لا تستحب والقديم أنها تستحب قال أصحابنا وإذا قلنا إنها تستحب فلا خلاف أنه يستحب أن يكون أقل من القراءة في الأولتين قالوا وتكون القراءة في الثالثة والرابعة سواء وهل تطول الأولى على الثانية فيها وجهان أحدهما ثم جمهور أصحابنا أنها لا تطول والثاني وهو الصحيح ثم المحققين أنها تطول وهو المختار للحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المطلوب في الأولى ما لا المطلوب في الثانية وفائدته أن يدرك المتأخر الركعة الأولى والله أعلم قال الشافعي رحمة الله وإذا أدرك المسبوق مع الإمام الركعتين الأخيرتين من الظهر وغيرها ثم قام إلى الإitan بما بقي عليه استحب أن يقرأ السورة قال الجماهير من أصحابنا هذا على القولين وقال بعضهم هذا على قوله يقرأ السورة في الأخيرتين أما على الآخر فلا والصواب الأول لثلا تخلو صلاته من سورة والله أعلم هذا حكم الإمام المنفرد أما المأمور فإن كانت صلاته سرية وجبت عليه الفاتحة واستحب له السورة وإن كانت جهرية فإن كان يسمع قراءة الإمام كره له قراءة السورة وفي وجوب الفاتحة قولان

أصحهما تجب والثاني لا تجب وإن كان لا يسمع القراءة فالصحيح وجوب الفاتحة واستحباب السورة وقيل تجب ولا تستحب السورة والله أعلم وتجب قراءة الفاتحة في الركعة الأولى من صلاة الجنائز وأما قراءة الفاتحة في صلاة النافلة فلا بد منها واختلف أصحابنا في تسميتها فيها فقال القفال تسمى واجبة وقال صاحبه القاضي حسين تسمى شرطاً وقال غيرهما تسمى ركناً وهو الأظهر والله أعلم والعاجز عن الفاتحة في هذا كله يأتي ببدلها فيقرأ بقدرها من غيرها من القرآن فإن لم يحسن أتى بقدرها من الأذكار كالتسبيح والتهليل ونحوهما فإن لم يحسن شيئاً وقف بقدر القراءة والله أعلم .

فصل

لا بأس بالجمع بين سورتين في ركعة واحدة

فقد ثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل كل سورتين في ركعة وقد قدمنا عن جماعة من السلف قراءة الختمة في ركعة واحدة .

فصل

أجمع المسلمين على استحباب الجهر بالقراءة

في الصبح والجمعة والعيددين والأولتين من المغرب والعشاء وفي صلاة التراويح والوتر عقيبها وهذا مستحب للإمام والمنفرد بما ينفرد به منها وأما المأمور فلا يجهر بالإجماع ويسن الجهر في صلاةكسوف القمر ولا يجهر في كسوف الشمس ويجهر في الاستقاء ولا يجهر في الجنائز إذا صليت بالنهار وكذا في الليل على المذهب الصحيح المختار ولا يجهر في نوافل العيد والاستقاء واختلف أصحابنا في نوافل الليل فالاظهر أنه لا يجهر والثاني أنه يجهر والثالث وهو الأصح وبه قطع القاضي حسين والبغوي يقرأ بين الجهر والإسرار ولو فاته صلاة بالليل فقضها بالنهار أو بالنهار فقضها بالليل فهل يعتبر في الجهر والإسرار وقت الفوات أم وقت القضاء فيه وجهان لأصحابنا أظهرهما الاعتبار بوقت القضاء ولو الرجعة في موضع الإسرار أو أسر في موضع الجهر فصلاته صحيحة ولكنه ارتكب المكرره ولا يسجد للسهو وأعلم أن الإسرار في القراءة والتکبيرات وغيرها من الأذكار هو أن يقوله بحيث يسمع نفسه ولا بد من نطقه بحيث يسمع نفسه إذا كان ولا عارض له فإن لم يسمع نفسه لم تصح قراءته ولا غيرها من الأذكار بلا خلاف .

تابع

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفر

تاريخ النشر : 01/10/2010

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammdfarag.com